

فصل في

إرهاصات بعثته ﷺ

لقد وقعت عدة أحداث كانت بمثابة إرهاصات ومقدمات لنبوته ﷺ منها:

[١] حادثة شق صدره ﷺ وهو يلعب مع الغلمان :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج منه علقه ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - أي مرضعته - فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

قال أنس رضي الله عنه وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره - ﷺ - « (١) .

[٢] تسليم الحجر عليه ﷺ بمكة قبل البعثة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » (٢) .

[٣] الرؤيا الصالحة في النوم .

[٤] حُب إليه ﷺ التخلي والعزلة للتعبد في غار حراء بمكة .

عن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ - أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات) برقم ١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (نسب النبي ﷺ ونسب الحجر عليه قبل النبوة) برقم ٢٢٧٧ .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقر . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) ﴾ [العلق : ١ - ٣] .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .

ف قالت خديجة - رضي الله عنها - كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك تصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصراً في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ .

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟ ، قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي » (١) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) الباب الثالث رقم ٣ .

فصل في

مبعث النبي ﷺ

« بعث الله نبيه على رأس أربعين سنة » ^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشرًا ثم توفي ﷺ » ^(٢) .
ولا خلاف أن النبي ﷺ بعث على رأس أربعين سنة ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله - ^(٣) : وهي سن الكمال ، قيل : لها تبعث الرسل اهـ .

وقال - رحمه الله - : ^(٤)

لما كمل له - ﷺ - أربعون أشرق عليه نور النبوة ، وأكرمه الله تعالى ، ولا خلاف أن مبعثه ﷺ كان يوم الاثنين ، واختلف في شهر المبعث اهـ .
قلت : كانت ولادته يوم الاثنين وبعثته يوم الاثنين ، فقد سئل نبينا ﷺ عن صومه يوم الاثنين فقال : فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ » ^(٥) .

قال العلامة الفوزان في الخطب المنبرية (٩٠/١) :

إن الله تعالى لم ينوه بولادة الرسول - ﷺ - وإنما نوه بمبعثه فقال :
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ،
فهي التي تحققت بها المنّة الربانية ، ومنذ بعثته إلى وفاته وكل لحظه من حياته الطيبة نعمة على البشرية ، فكل حياته بعد البعثة عبادة وجهاد ونفع للمسلمين ، لا يختص ذلك بيوم معين من حياته اهـ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) برقم ٣٥٤٨ ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (صفة النبي ﷺ) برقم ٢٣٤٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار) باب (مبعث النبي ﷺ) برقم ٣٨٥١ .

(٣) زاد المعاد (١ / ٨٤) .

(٤) زاد المعاد (١ / ٧٧) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار) باب (مبعث النبي ﷺ) برقم ٣٨٥١ .

فصل في

مراتب الوحي

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : (١)

وكمّل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة :

أحدها : الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » .

الثالثة : أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة رضوانهم أحياناً .

الرابعة : أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة : أنه ﷺ يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة عليه وغيرها .

(١) زاد المعاد (١ / ٧٨ - ٨٠) .

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ، كما كلم الله موسى بن عمران ﷺ ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء اهـ.